الحمد لله رب العالمين نحمده تعالى إذ لا ينبغي الحمد إلا له، ونشكره جل وعلا شكرا لا يليق إلا به ونشهد أنه الله ونسبح بحمده، علَّم نبيه ﷺ كيف يعبد ربَّه فقال له:

إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ

ونشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله أولُ العابدين وخيرُ من سجد لله رب العالمين بيّن أن حقيقة العبادة لا تكمن في كثرة الصلاة أو الصيام وإنما في الإخلاص لله وحسن الظن به فقال كما يروي ذلك أبو داود:

كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا فَقَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ

أما بعد فبعد أن تعرفنا على عقيدة وشريعة نبينا يحق لنا أن ننظر في عبادته وكيف أنه كان يوازن بينها وبين ظروفه الشخصية رغم ما كان يتميز به من زهد وتقوى إذ العبادة في هذا الدين لها خصوصيات فهي ترفض أولا التبتل وتدعو إلى توازن تام في حياة الإنسان، قال عليه السلام:

لَا صَرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ

ثم إن هذه العبادة تُراعي الظروف الطارئة عملا بقوله تعالى وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ فتراها تخف عند حدوث سفر أو مرض أو غيرهما من الأسباب التي تجعلها صعبة الأداء، قال تعالى:

يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ

ومن مميزات هذه العبادة كذلك أنها متنوعة درءا للملل وحتى يجد كل واحد ضالته في نوع من أنواعها فهناك عبادات مالية وأخرى بدنية ومنها ما هو يومي وآخر موسمي الكل محكوم بقوله ﷻ:

فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ

وهكذا يستطيع كل إنسان أن يرتاح في عبادته ويذكر ربه بما يطمئن به قلبُه تنزيلا منه على أرض الواقع لقول اللّه تبارك وتعالى الجامع:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

فالإنسان بحكم ضعفه لا يطيق أن يبقى ساجدا راكعا من الصباح إلى المساء ولا يمكنه أن يصوم الدهر من غير انقطاع ليمتثل هذه الآية ولكنه يستطيع أن يطبقها حقا بإخلاص نيته للّه في كافة أعماله وحركاته وسكناته، في مسجده وبيته ومكتبه وكذلك في معمله أو حقله أو دكانه فكل عمل صالح يقوم به المسلم حتى الرقدة يرقدها إلا ويتحول إلى عبادة بمجرد أن يتوفر فيه شرطا الإخلاص والسعي إلى فعل الخير وكسب رضا اللّه فَالحمد للّه.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. إن الأهم في العبادة أيها الناس هو كما رأينا الإخلاص فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ

وذلك أن الله تبارك وتعالى قال:

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ، وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي

ثم إنه لا ينبغي للمؤمن أن يكلف نفسه بالعبادة أكثر مما يطيق فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ

فرسولُ الله ﷺ كان يقوم الليل إلا قليلا ويصوم التطوع دائما ويذكر الله ويبكي عليه ويستغفره باستمرار إلا أن روحانيته هذه لم تمنعه من أن يكون معتدلا في عبادته واقعيا في حياته صاحب رؤية مادية في أموره فكان يهتم بمظهره ويستمتع بما طاب عنده من حلال كسبه ويقوم بعمارة الأرض ويأمر أصحابه بفعل ذلك كله فعن عَنْ أَنَس رضي الله عنه:

أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ

وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .. وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .. وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمةُ أمرِنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا وآخرتَنا التي إليها معادنا واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير والموتَ راحةً لنا من كل شر. اللهم إنا نسألُك فعل الخيرات وترك المنكرات وحبَّ المساكين وإذا أردت بقومٍ فتنةً فتوَفَّنا إليك غير مفتونين. اللهم اغفر لموتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك. اللهم اغفر لهُم وارحمهُم وعافهم وأعف عنهم وأكرِم نُزلَهم ووسِّع مُدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبَرَد. اللهم احفظ أمير المؤمنين بما حفظت به الذكر الحكيم. اللهم كن له وليا ونصيرا ومعينا وظهيرا وأقر عينه بولي عهده وسائر أفراد أسرته وشعبه آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.